

الإنتاجات الأدبية العبرية المعاصرة تسعى لتحطيم الأساطير

أدباء بين صناعة ولاءات جديدة للمشروع الصهيوني ودحض الفرضيات الكبرى

إن الأدب العبري الحديث هو ذلك الأدب الذي كُتب بالعبرية في أوروبا وأواخر القرن الثامن عشر الميلادي وتميز بنزعة العلمانية التي هدفت بالأساس إلى تنقيف الجماعات اليهودية في أوروبا ومن ثم تشابه شكلا ومضمونا مع الآداب الأوروبية، لكن اليوم تغير الخطاب الأدبي العبري ليشكل له هوية خاصة بحكم التحولات.



محمد الحماصي
كاتب مصري

رؤية مختلفة عن اليوتوبيات الصهيونية الأولى. وتابعت "وهنا برزت ما بعد الصهيونية كثيرا نقدي تفكيكي رأى أن وجود دولة إسرائيل لم يكن حلا لمشاكل الجماعات اليهودية كلها، وبالأخص في ظل فرض الهيمنة الصهيونية الأوروبية على الأنظمة الاجتماعية والثقافية بالمجتمع، وتهميشها للأخر (اليهودي الشرقي أو العربي الفلسطيني) ومحاولات صهره المستمرة داخل ثقافة غربية مختلفة عنه بدعوى الحفاظ على وحدة النسيج القومي الجمعي للدولة". وتجسدت دعوات هذا التيار النقدي في نصوص أدبية عديدة - وبالأخص من إبداع يهود الشرق - تدحض النتائج السلبية للصهيونية ليس على الفلسطينيين فحسب، بل أيضا على يهود الشرق الذين جردوا من حق تمثيل أنفسهم وتعرضوا إلى إنكار تاريخهم العربي ووعيهم الثقافي لأسباب تخص الصهيونية كحركة أوروبية استعمارية هدفت إلى خلق هوية إسرائيلية غربية هيمنة تقوم على تاريخ رسمي واحد، لذلك وضعت نفسها في موضع السيد وحولت الفئات الأخرى إلى وضعية التابع.

ورأت راحيل أن خطابا أدبيا مضادا نشأ ليتبنى مقولات ما بعد الكولونيالية ويقوض الفرضيات الصهيونية الرسمية وما تدعمه من التراتبية الهرمية للثقافات، ويعبر أدباؤه عما أطلقوا عليه "الاستعمار الجديد" الذي تمارسه دولة إسرائيل ضد مواطنيها عن طريق محاولاتها المستمرة لمحو هويتهم الأصلية متخفية وراء مقولات تعميمية مثل "التقدم" و"التنوير" و"المواطنة" وغيرها من مفاهيم تسهم في ظلها في تحديد العلاقة بين الدولة والفرد، فجاءت النصوص الأدبية العبرية لتعبر عن إلغاء الطابع القومي الجمعي للدولة ودحض افتراضاتها المركزية وهو السبيل الوحيد الذي يمكن المواطن من تحريره ذاته من "عنصرية" الصهيونية و"ظلم" المؤسسة الحاكمة، وبالتالي خلق شرعية بديلة تقوم على تقويض الأسس الأيديولوجية للدولة، وخاصة تلك التي

تدحض الفرضيات الصهيونية الرسمية وما تدعمه من التراتبية الهرمية للثقافات، ويعبر أدباؤه عما أطلقوا عليه "الاستعمار الجديد" الذي تمارسه دولة إسرائيل ضد مواطنيها عن طريق محاولاتها المستمرة لمحو هويتهم الأصلية متخفية وراء مقولات تعميمية مثل "التقدم" و"التنوير" و"المواطنة" وغيرها من مفاهيم تسهم في ظلها في تحديد العلاقة بين الدولة والفرد، فجاءت النصوص الأدبية العبرية لتعبر عن إلغاء الطابع القومي الجمعي للدولة ودحض افتراضاتها المركزية وهو السبيل الوحيد الذي يمكن المواطن من تحريره ذاته من "عنصرية" الصهيونية و"ظلم" المؤسسة الحاكمة، وبالتالي خلق شرعية بديلة تقوم على تقويض الأسس الأيديولوجية للدولة، وخاصة تلك التي

تتعلق باليوتوبيا الصهيونية وبوتقة الصهر. وأضافت أن "الإنتاجات الأدبية العبرية قد تراوحت في الأونة الأخيرة بين اتجاهين مركزيين، أولهما يوجه جهوده نحو صناعة ولاءات جديدة للمشروع الصهيوني وتنمية قيم الشعور القومي والانتماء السياسي لدى اليهود بإسرائيل، وزرع مفاهيم تؤكد 'عدالة' الحركة الصهيونية وضرورتها التاريخية وخاصة وسط الشباب الإسرائيلي الذين انصرفوا مؤخرا عن الفكر الصهيوني بشكل أو بآخر. وأما الثاني فينشد بإعادة تفسير اليهود في أوروبا وذاكرة أحداث النازية، والحركة الصهيونية وترويجها لتحرير اليهود وإقناهم بنقلهم إلى فلسطين، وكذلك انشطار الهوية داخل المجتمع الإسرائيلي بعد فشل سياسات الصهر في خلق نسيج ثقافي واجتماعي موحد للمهاجرين اليهود القادمين من خلفيات ثقافية متعددة، وأخيرا التحولات التي طرقت وتعين وضع اليهود القادمين من الدول العربية وتحديد النظرة إلى الثقافة العربية التي يمثلونها".

اعتمدت راحيل في كتابها على استجلاء الاتجاهات سابقة الذكر ودورها في تحليل الإنتاجات الأدبية المكتوبة باللغة العبرية، وكانت مقولات ما بعد البنيوية والنقد الثقافي والدرس المقارن هي المناهج النقدية والخطوات الإجرائية التي تمت الاستعانة بها لاستنطاق النصوص الأدبية وتفسيرها باعتبار تلك النصوص ممارسات ثقافية تعبر عن أنظمة المجتمع وتجسد أنساقه المتعددة عبر رحلة طويلة من التحولات التاريخية والاجتماعية.

نصوص ناقدة

قسمت راحيل كتابها إلى خمسة فصول رئيسية تطرح قضايا فكرية مختلفة تخص المرأة والتراث والصهيونية والصراع والحروب وغيرها من قضايا انشغل بها كاتبو النصوص الأدبية محل الدراسة، وتعرض كذلك أنواعا أدبية متنوعة تتراوح بين الرواية والرواية القصيرة والقصة القصيرة ورواية الرسائل بوصفها قوالب فنية طرحت خلالها الأدباء قضاياهم المجتمعية المتشابكة.

في الفصل الأول الذي عنوانته راحيل بـ"جماليات التشكيل الزمكاني في رواية 'رسائل من رحلة متخيلة' للبيته غولديبرغ -قراءة نقدية في بنية النص الروائي"، حاولت الناقدة تفكيك المقولات التي



الأدب العبري الحديث ينقد الصهيونية

ويقنع الكاتب بتسحاق بن مردخاي بالأسطورة بهدف نقد السلطة السياسية، ورفض أجهزتها المعقبة المتمثلة في ممارسات الجيش الإسرائيلي وإدارته الوحشية للحروب، ومحاولاته للدمج بين الواقعي والعجائبي من أجل إدانة التعامل الصهيوني مع الأبعاد المختلفة لما يسمى بـ"إبادة" يهود أوروبا والناجين في فترة أحداث النازية. وقد كشفت الدراسة عن آليات توظيف الشخصية "الجولم" في الرواية، وبيان أسلوب الكاتب في استلهام مستويات الأسطورة، كليا أو جزئيا، لبناء عوالم تخيلية روائية تتصل بمجموعة من المرجعيات الاجتماعية والسياسية أراد الجهر بها عن طريق استدعائه لمكونات الأسطورة والاشتغال عليها على المستويين الفني والرؤيوي.

وتطرق في الفصل الرابع "سرد الضحية - دراسة مقارنة في قصتي 'تمزيق' و'العاب نارية' إلى وقوع المرأة اليهودية ذات الأصول العربية ضحية للهيمنة الذكورية وللإقصاء العنصري بعد تصنيفها كجزء من كل يعترضه النقص من قبل المؤسسة الصهيونية الإشكنازية داخل إسرائيل، وذلك عبر تمثيل الكاتبة براكا سري لما تعانيه المرأة اليهودية اليمنية من ليتسحاق بن مردخاي"، عارضة استلهام المبدع للشخصية الأسطورية داخل نصه الروائي من أجل إنتاج دلالة جديدة لها تتصل بالواقع الحاضر الذي يجسد.

قبل إقامة الدولة ومنعمهم من الانفتاح على القيم الغربية الحديثة. وتذكر في الطرف المقابل كيف قام الأديب المصري يوسف إدريس باستثمار الأسطورة لتجسيد أزمة التحديث التي عانى منها البعض في مصر منذ أوائل عقد الستينات من القرن العشرين، وتداعيات الصدام الحضاري بين مجتمع الريف ومجتمع المدينة. وقد تم استقراء سمات الشخصيتين بين الأسطورة الأصلية والتمثل الأدبي لها، وورد أسباب الاستدعاء الأسطوري وشواغله الاجتماعية، وبيان آليات توظيف الشخصية الأسطورية لبناء عوالم تخيلية لا تعيد إنتاج الأسطورة بل تستخدمها للتعبير عن معطى واقعي.

النصوص ممارسات ثقافية تعبر عن أنظمة المجتمع وتجسد أنساقه عبر رحلة طويلة من التحولات التاريخية والاجتماعية

وواصلت راحيل في الفصل الثالث "الجولم بين التراث الشعبي والتمثل الأدبي - دراسة في رواية 'الجولم' ليتسحاق بن مردخاي"، عارضة استلهام المبدع للشخصية الأسطورية داخل نصه الروائي من أجل إنتاج دلالة جديدة لها تتصل بالواقع الحاضر الذي يجسد.

سعت الصهيونية لترسيخها في خيالات المهاجرين اليهود، في محاولة لدفعهم إلى الانقطاع عن أوطانهم الأوروبية التي جاؤوا منها، والتمسك بالوطن المقصود "فلسطين".

وعرضت راحيل المحاولات الأولى لرفض الصهيونية وخطابها الإنقادي الذي اتجهت به نحو يهود العالم من خلال تبني الكاتبة لبيته غولديبرغ خطابا كوزموبوليتانيا ينحرف عن المسار الرسمي للخطاب الصهيوني الذي يلتزم بتأسيس "وطن قومي" لليهود بفلسطين بجمعهم فيه نسيج ثقافي موحد، وذلك من خلال استنطاق البنية الكرونوتوبية/الزمكانية في رواية "رسائل من رحلة متخيلة" عن طريق تتبع بعض التقنيات الفنية التي لا يمكن فيها فصل عنصري الزمان والمكان بوصفهما المعطيين المؤسسين للفضاء الروائي وبناء على دراسة تحليلية لتلك التقنيات، معتمدة على رؤية ميخائيل باخثين للزمان الأدبي.

وتناولت في الفصل الثاني "الغواية بين ليليت والهداهة - دراسة مقارنة في قصتي ليليت و'النداهة'"، وسبل استثمار الكاتبة آيا كان انتماؤها للخطاب الأسطوري في نقد الواقع الاجتماعي الذي يعاشره والتنبؤ بالمستقبل المتوقع إذا تغير أو لم يتغير الوضع القائم الذي يدينه، حيث قام الكاتب دافيد فريشمان بتطويع الأسطورة للتعبير عن تمرده على السلطة الدينية التي استغلها الحاخامات للسيطرة على يهود أوروبا

المواهب تغير المجتمعات

يقدم كتاب "إدارة المواهب البشرية ودورها في إدارة التغيير" للدكتور خالد بن علي العلوي رؤية ذات بعد استراتيجي في تنمية المجتمعات، حيث يناقش إدارة المواهب والمفاهيم ذات الصلة من حيث تعريف المواهب وتعريف إدارتها، طارحا نماذج من إدارة المواهب وأهميتها.

ويبحث العلوي في طريقة إدارة التغيير والمهابة والنظريات المفسرة له، إضافة إلى شرح عشر خطوات أساسية لإدارة التغيير، ثم عوامل نجاح ذلك، إذ يقدم مجموعة من الخصائص الواجب توفرها من بينها القدرة على تحديد الأهداف والسياسات والإجراءات، وعلى الحركة والابتكار، وعلى مواجهة المواقف المتغيرة، واتخاذ القرارات الموضوعية، والمتابعة والتقييم الذاتي، والتنظيم والإبداع والتفويض.

ويشير العلوي في كتابه، الصادر عن دار لبنان للنشر، إلى أن الموارد البشرية الموهوبة هي الدعامة الأساسية للرفق والتقدم، وثروة الحاضر التي تستثمر للمستقبل، فالحضارة البشرية منذ بزوغ شعاعها قامت على استغلال مواردها البشرية، مشيرا إلى أن الموهبة أصبحت رأس مال بشري ذا قيمة عالية.

الديانات تسرق الثورات

يعيد كتاب "الدين في السياسة والمجتمع. بين دوغمائية الأولين وتحريفات التابعين" لصاحبه أبو القاسم الشبيري المجتمع والباحثين، من جديد، إلى مساءلة أمور الدين والسياسة والمجتمع في ارتباط هذا الثلاثي المحرك للحضارة والفاعل فيها وأطلاقها.

ينطق الكتاب، الصادر عن دار "الفاصلة للنشر" في طنجة، من حالة المغرب ليلاصق كل المجتمعات بمختلف دياناتها وأيديولوجياتها في ارتباط الدين والسياسة بالمجتمع، حيث لا دين ولا سياسة بدون مجتمع، ولا مجتمع خارج التاريخ، ولا تاريخ بلا ثقافة مجتمعية، حسب تعبير المؤلف. ولذلك يدعو كل المثقفين والباحثين إلى الخوض بجدية في هذا الموضوع.

فمن "لحجة اليساريين والماركسيين والمتفلسفين" إلى "لحجة الإخوان" يلامس الباحث تاريخ نشأة الجماعات الإسلامية وتغلغلها في الجامعة، بدعم معروف لمحاصرة اليسار، وكيفية تحولها فكريا وثقافيا وإعلاميا من جماعات دُعية "وديعة" إلى حركات إرهابية أو سياسية، إلى أن وصلت إلى الحكم في عدة بلدان عرفت انتفاضات جماهيرية قادها شبان حدائيق وشابات "سافرات".

الكتابة الذاتية النسائية

يعتبر كتاب الناقد محمود عبد الغني الجديد بعنوان "يعترفن أحسن" دراسة في سرد الـ"أنا" في الكتابة الذاتية النسائية العربية، حيث يقر أن "توفير هذه النصوص تطلب منا أيضا العمل داخلها، وإنما نأسف شديد الأسف على غير توفّر الثقافة العربية على نصوص ذاتية نسائية قديمة تعود بذاكرتنا ونوقنا الأدبي إلى القرون البعيدة".

ويعمل الكتاب، الصادر حديثا عن دار خطوط وظلال، مناسبة أدبية لتذوق ميراث الماضي والحاضر. لكن هذه "الذخيرة الحديثة" تقوم بتعويض الخسارة الفادحة بتقديم هذا التفوق الكاسح للملفوظ الذاتي النسائي في الثقافة العربية الحديثة كما أنها بدليل للهيمنة النسبية للاهتمام المبالغ فيه بالملفوظ الذاتي الذكوري.

وسعى عبد الغني لإيجاد موقع داخل الحركة الأدبية العامة، مشددا على أنه قد حان الوقت لمحاولة فهم النص الذاتي النسائي. وتتمتع محاولة الفهم هذه بحيوية خاصة لأن مستقبل هذا النص تسيطر عليه نزعة الانتماء الجنسي أولا، ولأن الحياة والأدب (الفن) لم يفترقا بعد داخل كينونة المرأة.

